بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة تبت وهي مكية

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾.

التباب: الهلاك، ومنه قولهم: أشابة أم تابة. أي: هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى: هلكت يداه[1]، لأنه فيما يروى أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ. ﴿وتب﴾ وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين، والمراد هلاك جملته. كقوله تعالى: ﴿بما قدّمت يداك﴾[2] ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله:

جزاني جزاه الله شر جزائه ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وقد تب. وروي أنه لما نزل: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ رقى الصفا وقال: «يا صباحاه». فاستجمع إليه الناس من كل أوب. فقال: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أنّ بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي». قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي الساعة». فقال أبو لهب: تبًا لك لهذا دعوتنا[3] فنزلت.

فإن قُلْتَ: لم كناه والكنية تكرمة؟ قُلْتُ: فيه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون مشتهرًا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفًا بأحدهما، ولذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له نكر الأشهر من علميه. ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب. كما قيل: علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان. لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع. ولقليطة بن قاسم أمير مكة ابنان: أحدهما: عبد الله بالجرّ، والآخر عبد الله بالنصب، وكان بمكة رجل يقال له: عبد الله بجرّة الدال لا يعرف إلا هكذا، والثاني: أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته، والثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرًا بأن يذكر بها. ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير، وأبو الخير للخير. وكما كنى رسول الله ﷺ أبا المهلب: أبا صفرة[4] بصفرة في وجهه. وقيل: كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما. فيجوز أن يذكر بذلك تهكمًا به وبافتخاره بذلك. وقرئ: أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقولهم: شمس بن مالك بالضم.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾.

﴿ما أغنى﴾ استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب، أو نفي ﴿وما كسب﴾ مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه أو وكسبه. والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله. يعني: رأس المال والأرباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها. وكان ذا سابياء[5] أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه، أو ماله التالد والطارف. وعن ابن عباس: ما كسب ولده. وحكى أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع. فغضب فقال: اخرجوا عني الكسب الخبيث. ومنه قوله عليه السلام: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه». وعن الضحاك: ما ينفعه ماله وعمله الخبيث. يعني: كيد في عداوة رسول الله ﷺ، وعن قتادة: عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾[6] وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا فأنا افتدى منه نفسي بمالي وولدي.

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾.

﴿سيصلى﴾ قرئ بفتح الياء وبضمها مخففًا ومشددًا والسين للوعيد. أي: هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته.

وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾.

﴿وامرأته﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة. ويقال: للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم. أي: يوقد بينهم النائرة ويورّث الشر. قال:

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ... ولم تمش بين الحيّ بالحطب الرطب

جعله رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر، ورفعت عطفًا على الضمير في سيصلى. أي: سيصلى هو وامرأته.

فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾.

و﴿في جيدها﴾ في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر. وقرئ: حمالة الحطب بالنصب على الشتم، وأنا أستحب هذه القراءة. وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل من أحب شتم أم جميل. وقرئ: حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب. وقرئ: ومرينه بالتصغير. المسد الذي فتل من الحبال فتلاً شديدًا من ليف

---

(1) قال أحمد: وفي هذا دليل؛ لأنّ الرفع أسبق وجوه الإعراب وأولها، ألا تراهم إنما حافظوا على صيغته التي بها اشتهر الاسم، وكانت أول أحواله.

(2) سورة الحج، الآية: 10.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: سورة تبت (الحديث = 4507)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ (الحديث رقم: 355/208).

(4) انظر الإصابة في تمييز الصحابة 4/108.

(5) سابياء: أي كثير المال والنتاج والإبل.

(6) سورة الفرقان، الآية: 23.

كان أو جلدًا أو غيرهما. قال:

ومسد أمر من أيانق

ورجل ممسود الخلق مجدوله. والمعنى: في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون، تخسيسًا لحالها وتحقيرًا لها وتصويرًا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة. ولقد غير بعض الناس الفضل بن العباس ابن عتبة ابن أبي لهب بحمالة الحطب فقال:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ... أمّ ما تعير من حمالة الحطب

غراء شابحة[1] في المجد غرتها ... كانت سليلة شيخ ناقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإخلاص مكية

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾.

﴿هو﴾ ضمير الشأن و﴿الله أحد﴾ هو الشأن. كقولك: هو زيد منطلق: كأنه قيل: الشأن هذا وهو أنّ الله واحد لا ثاني له.

فإن قُلْتَ: ما محل هو؟ **قُلْتُ:** الرفع على الابتداء، والخبر الجملة.

فإن قُلْتَ: فالجملة الواقعة خبر الأبد فيها من راجع إلى المبتدأ فأين الراجع! **قُلْتُ:** حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك: زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنى. ولذلك أنّ قوله: الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق، فإنّ زيدًا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما. وعن ابن عباس: قالت قريش: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت، يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله واحد، بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد. وقرأ عبد الله وأبيّ: هو الله أحد بغير قل. وفي قراءة النبي ﷺ: «الله أحد بغير قل هو». وقال: «مَن قرأ الله أحد كان بعدل القرآن». وقرأ الأعمش: قل هو الله الواحد. وقرئ: أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه، ولا ذاكرًا لله إلا قليلاً. والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين.

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾.

﴿الصمد﴾ فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج. والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم.

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾.

﴿لم يلد﴾ لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا. وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. ﴿ولم يولد﴾ لأنّ كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أوّل لوجوده وليس بجسم. ولم يكافئه أحد أي: لم يماثله ولم يشاكله، ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفيًا للصاحبة. سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته فقوله: هو الله، إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وفي طيّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم؛ لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعًا على غاية إحكام واتساق وانتظام. وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير. وقوله: أحد، وصف بالوحدانية ونفي الشركاء. وقوله: الصمد، وصف بأنه ليس إلا محتاجًا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجًا إليه فهو غني، وفي كونه غنيًا مع كونه عالمًا أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه. وقوله: لم يولد وصف بالقدم والأوّلية. وقوله: لم يلد، نفي للشبه والمجانسة. وقوله: ولم يكن له كفوًا أحد، تقرير لذلك وبت للحكم به.

فإن قُلْتَ: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد قص سيبويه على ذلك[3] في كتابه فما باله مقدّمًا في أفصح كلام وأعربه؟ **قُلْتُ:** هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾.

وقرئ: كفؤًا بضم الكاف والفاء، وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء.

فإن قُلْتَ: لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على

(1) شابحة: أي شدخت شدوخًا اتسعت في الوجه.

(2) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 328.

(3) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (6/442) وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (8915).